واما سكة بغداد والسكة الحجازية فانهما سيكونان ايضاً من اعظم العوامل على انفساح العمران وزيادة الثروة في القطر السوري. فهذان الخطان لا يلبثان بعد تمامهما ان يفوقا في اهميتهما كافة الخطوط القديمة

نقف عند هذا الحد من الكلام عن مالية الدولة العلية وعن بعض نتائج الاعمال الصائبة التي اتتها حكمة جلالة مولانا السلطان الاعظم التي امست حاجزاً متيناً في وجه العاذلين من ذوي المآرب العمياء. وكفانا برهاناً اسعار القراطيس العثمانية في آونة كهذه ترى فيها الدول المعقود لها لواء الثروة والانبساط في الثقة المالية تقهقراً محسوساً في قيمة اوراقها. فان قيمة دين الدولة المحوّل بعد ان كان ١١٦,١٣٥,٠٦٢ ليرة عثمانية سنة ١٨٨١ امسى ٩٤,٧٠٩,٣٠٨ ليرة سنة ١٩٠١ واما اسعار القراطيس فبعد
س ف س ف س ف
ان كانت ١٥,٨٠و١٤,٥٠و١٤,٥٠ سنة ١٨٨٥ للثلاثة الابواب التي لم يتم استهلاكها اضحت ٥٠,٨٠و٢٧,٦٥و٢٥,١٠ سنة ١٩٠١

فمن هذه الارقام يستدلُّ على ان الدولة العلية باتت بحكمة الذات الشاهانية ايّد الله شوكتها في مأمن من العسر المالي الذي مدَّ رواقهُ فوق كثير من الممالك التي تدعي بكثرة اقتصادها وحنكة رجالها. واذا جرى التحوير الذي عزم جلالة السلطان الاعظم على ادخاله في جباية الاموال الخارجة عن ادارة الديون العمومية عظم املنا في المستقبل وتأكدنا ان السكك الحديدية وبالحري هاته العروق الحيّة في جسم السلطنة سيزداد بها العمران والثروة وتدرّ على الخزينة الايرادات التي يسميها الاقتصاديون غير منظورة ما يدعونا الى الثقة بازدياد عزّ الدولة وفلاح رعاياها ومتانة ماليتها. وفّقها الله الى ما فيه خير البلاد

زهرة لبنان

في ترجمة راهب كفيفان

لحضرة الاب الفاضل الجليل نعمة الله الكفري الرئيس العام على الرهبانية المارونية البلدية

طالما سمعنا ان زهرة القداسة التي كانت في القرون النصرانية الاولى زاهية نامية في الاصقاع الشرقية ذبلت بعد ذلك وذوى رونقها كانّ ريح البدع لفحت فجفّفتها.

على انَّ الدين الكاثوليكي بعد انتعاشه في اقطارنا مدَّة القرون الاخيرة لم يخلُ من نفوس طاهرة سامية الفضل نمت في تربته الخصبة فعطَّرت باريج فضائلها اوطاننا العزيزة. وقد رأى لبنان من هذا القبيل عجائب قرَّت لمنظرها عيون سكانه فمجَّدوا الله في قديسيه

ومنَّن امتاز بين هؤلاء الافاضل رجلٌ بارٌّ لا يزال يذكرهُ بالخير كلُّ من عرفهُ وقد شاع اسمهُ في كل انحاء لبنان حتى ان الناس لا يدعونهُ منذ نيف ونصف قرن الَّا قديس كفيفان. ولمَّا كان الله قد اتاح لنا ان نشاهدهُ مدَّة ونرى فضلهُ وأيَّ العيان فعجزنا عوده وسبرنا غوره وأنسنا من براعته وصلاحه ما لم يسطِّر الَّا في تراجم اوليائه تعالى احببنا ان ندوِّن على صفحات مجلة المشرق لمعةً من سيرته لئلا يبقى هذا المصباح المنير محجوبًا تحت المكيال بل يُهتدى بنوره وقصارى بغيتنا ان تبعث هذه الاسطر في قلوب الجمهور الرغبة في اقتفاء آثاره

*

ولد الاب نعمة الله بن جرجس كسَّاب في قرية حردين من معاملة البترون سنة ١٨٠٨ ودُعي اسمهُ في المعموديَّة يوسف وكان ابواهُ من اتقياء الناس ارشداهُ الى الفضيلة بالقول والمثل منذ نعومة اظفاره وقد وجدا في قلب ولدهما تربةً حسنة معدَّة لقبول بذر التقى وزرع الكمال. فنشأ الولد وكل جوارحه مائلة الى العبادة وامور الآخرة فكان يحب العزلة عن اترابه ويحيد عن ألعابهم ويرتاح الى الاعمال الروحيَّة لاسيَّما حضور الذبيحة الطاهرة

وكان في ذلك الوقت عدد المدارس قليلًا لا يرضع افاويق العلوم الَّا قسم صغير من الاحداث. وكان للرهبان البلديين في دير حوب ليس بعيدًا من تنُّورين مدرسة للصغار تُدرس فيها المبادئ فارسل ابو يوسف ولدهُ اليها ليتخرَّج فيها على القراءة فما فتئ ان اتقنها في اللغتين العربيَّة والسريانية

فانتدبهُ حينئذٍ والدهُ الى مساعدته في اشغاله من حراثة ارزاقه والقيام بمهامّ بيته فكان الولد طوع بنانه مثابرًا على الشغل بنشاط عجيب غير انهُ كان يسمع في باطنه صوت الله يدعوهُ الى الترهُّب. فلمَّا تحقَّق دعوتهُ تعالى هجر كل الامور العالمية وترك كلّ ما لهُ ليتبع الرب وكان بلغ اذ ذاك السنة العشرين من عمره

فذهب الشاب الى دير قزحيًا وطلب الانتظام في سلك الرهبانيَّة البدريَّة. وكان يترأسها في ذلك العهد رجل ذو فضل غزير وهمَّة قعساء وهو الاب اغناطيوس بُلَيبل الذي دبَّر شؤون هذه الرهبنة مدة نحو ثلاثين سنة فبلَّغها الى مقام رفيع ادبيًا وماديًا. فاجاب الى ملتمس الطالب لما تفرَّس في ملامحهِ من حسن الطويَّة وسذاجة الطباع ودعاهُ في الرهبانيَّة باسم نعمة الله وعُرف مذ ذاك الحين بنعمة الله الحَرْديني

فما دخل الاخ الجديد في عداد المبتدئين حتى جعل نُصب عينيهِ مثال المسيح ليطأ مواقع قدميهِ ويتسيم بسماهُ فكان منذ اول ايَّامهِ مرآةً لكل الفضائل وقدوةً لجميع اخوانهِ. وكان قلبهُ يأنس الى مناجاتهِ تعالى حينًا بالصلاة العقلية وحينًا بالصلاة اللفظية يحيي الليالي بتمامها في الكنيسة وكانت محبَّتهُ لسرّ القربان الاقدس عظيمةً يقضي بازائهِ ساعات طوالًا لا يبتعد عنهُ الَّا بامر رؤسائهِ. وكان اذا خرج يقف في اروقة الدير غافلًا عن حواسهِ مشغولًا بهذيذ القلب يتنهَّد كأنهُ يبغي تبريد حرقة قلبهِ. وهكذا صرف المبتدئ الفاضل سنتي التجربة بمباشرة كل اعمال الصلاح فالبسهُ الاب مكاريوس وادي شحرور رئيس دير قزحيًا الاسكيم الرهباني سنة ١٨٣٠

ثم أرسل الاخ نعمة الله بعد ذلك الى دير مار قبريانوس كفيفان في بلاد البترون ليقتبس في مدرستهِ العلوم اللازمة للدرجة الكهنوتية المقدسة فباشر دروسهُ فيها مدةً يسيرة عظيمة الَّا ان نشاطهُ في حفظ الرسوم الرهبانية كان اعظم وقد ادَّى بهِ تدقيقهُ في صيانة القوانين الى الوسواس حتى اضطرَّ الامرُ رؤساءهُ ان يفصلوهُ عن الدرس ويرسلوه الى دير مار موسى الحبشي في المتن لترويح النفس. ولمَّا كان الاخ راهبًا مطيعًا جرى بكل سذاجة على اوامر آبائهِ الروحيين فنجا من الوساوس التي اقلقتهُ وامكنهُ ان يعود الى دروسهِ بهمَّة جديدة فتقدَّم فيها على جميع اخوتهِ حتى ان الرهبان الدارسين معهُ كانوا يقصدونهُ ليستفيدوا من شروحهِ ويتلقَّنوا منهُ ما فاتهم من دروس المعلِّم. وكان مع ذلك يزاول الخياطة بامر رؤسائهِ ولا يُهمل شيئًا من فرائض الدير ورياضات الحياة النسكية

ثم انهى دروسهُ وقدَّم عنها فحصًا اجاد فيهِ واكتسب ثناء الفاحصين فرُقّي الى درجة الكهنوت بوضع يدي الحبر الجليل المطران سمعان ذوين النائب البطريركي بامر غبطة السيد البطريرك يوسف حبيش وتمَّ ذلك سنة ١٨٣٣ وكان للاخ نعمة الله من العمر ٢٥ سنة

فتقدَّم المرشَّح لهذه الرتبة العظمى وقبلها بتقاوة سماويَّة وتقوى فائقة واخذ منذ ذاك اليوم يعيش وهو بالملاك اشبه منهُ بالانسان فكان جلّ عنايتهِ ان يمارس الابرار المقدسة على مثال اولياء الله بحرارة ونشاط وعبادة ووقار. ولم يكتفِ لذلك بان يبالغ في مباشرة الاعمال التقويَّة وممارسة الفضائل الرهبانية بل كان يستعدّ لتقدمة الذبيحة الطاهرة استعدادًا بالغًا بالتأملات والقراءة الروحيـة وزيارة القربان الاقدس. ومن جملة هذه الاستعدادات انهُ كان يعترف يوميًّا بخطاياهُ وقد واظب على ذلك ما امكنهُ الى نهاية حياتهِ مع ان مرشديه لم يجدوا فيهِ على الغالب مادَّةً كافيةً للحلّ.

وكان لا يشرع في تقريب القربان الّا اذا انتهى منـهُ اخوتهُ القسوس وحضر قداديسهم فيتولّى هذا العمل العظيم عند ضحى النهار. وكان يقضي في ممارستهِ نحو ساعة كاملة وهو في اثنائهِ يتلهَّب حبًّا بربّهِ تلوح على وجههِ امارُ الفرح وتظهر في كل شخصهِ سمات التقى والورع. وكان اذا فرغ من خدمتهِ جثا على ركبتيهِ امام القربان يشكر ويهـذُّ في مناجاة ربّهِ ويتلو الوردية المقدسة كاملةً إمَّا وحدهُ واما في صحبة اخوتهِ الرهبان وذلك بصوت جهور يتدفَّق رقةً وتخشعًا مع دالَّة عظمى بنوَّتهِ نحو مريم ام الله. وكان يبقى طاويًا الى الظهر لا يذوق لماظًا حتى في ايَّام الآحاد والاعياد. فمن ثمَّ يكون قضى صائمًا مدة كهنوتهِ كلها اي خمسًا وعشرين سنةً بتمامها

*

وفي حياة الاب نعمة الله التي قضاها في الرهبانيَّة بعد كهنوتهِ ثلاثة اطوار امتاز فيها كلّها بسـرّ فضلهِ وعظم فضائلهِ. فالطور الاول يشمل قسم حياتهِ التي صرفها مرؤوسًا في ديورة رهبانيَّتهِ. والطور الثاني يحتوي زمان مدبّريَّتهِ. والطور الاخير يتضمَّن رئاستهُ على الرهبان الدارسين في دير كفيفان

كان رجل الله يحب ان يبقى خاملًا تحت طاعة رؤسائهِ لا يفكّر سوى في امر خلاصهِ دون ان يتحمَّل عبء المسؤوليَّة عن نفوس غيرهِ. وقد اشتهر في ذلك الوقت بمحبَّتهِ للشغل. فانهُ مع براعتهِ في الخياطة كان اتقن فنّ تجليد الكتب. وكان يزاول هذه الصناعة حتى بعد انتخابهِ الى وظيفة مدبّر في رهبانيَّتهِ. وكان اذا حصل على شيء من شغل يدهِ حملهُ الى رئيسهِ ليتصرَّف بهِ في شؤون الرهبان وان سمح لهُ الرؤساء بان يصرف شيئًا منهُ كان يبتاع صورًا وآنيةً وحللًا كهنوتيَّة يوزّعها على كنائس الديورة

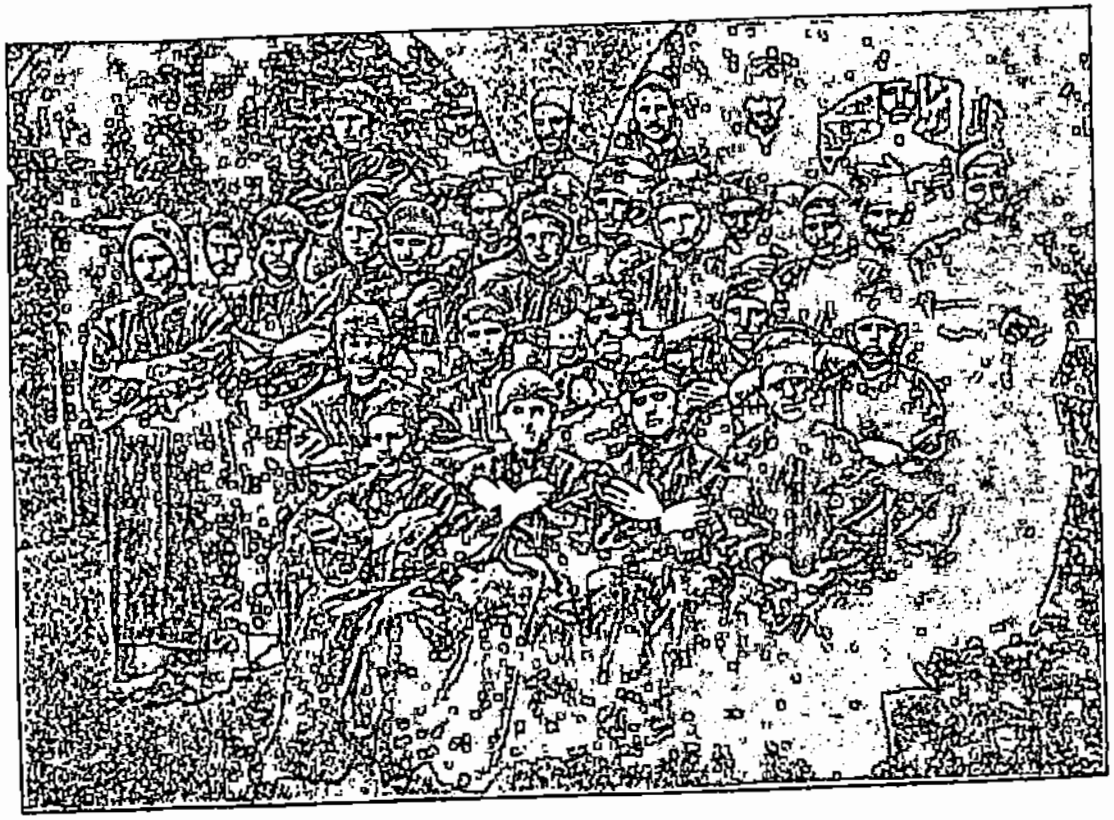

صورة الرهبان المبتدئين في دير كفيفان
حيث يحفظ جسم البارّ الاب نعمة الله الحرديني

ليزيد بذلك رونقها وتسمو عبادة المؤمنين للقربان الاقدس

ومما امتاز به هذا البار محبّتهُ للعيشة الاشتراكيّة وتجرّدهُ عن روح العالم فانهُ كان لا يحيد عمّا يسنّهُ القانون لجمهور الاخوة بل يجري عليهِ بكلّ تدقيق. وكان يداوم السكنى في ادیرة الرهبانية دون ملل لا يرتاح الى معاشرة العالميين لئلا يعدلوا بهِ عن اعمالهِ التقويّة واتقان رياضاتهِ الروحيّة. امّا اهلهُ واقاربهُ فكان كفر بهم كفرًا تامًّا لا يفتكر فيهم الّا بصلاتهِ وبعد ترهبهِ لم يدخل بيت ابيهِ سوى مرة واحدة بامر الطاعة وذلك لمّا انتهى من امتحانات الابتداء. وذهب لمباشرة الدروس بعد زمن قليل من ترهبهِ. وهي الدفعة الواحدة التي فيها رقد خارج ديرهِ. ولم يرضَ ان يقبل شيئًا من اهلهِ وكانوا اذا اتوهُ بشيء واكرهوهُ على اخذهِ وزّعهُ على اخوتهِ برضى الرئيس بل كان يودّ لو نسيهُ اقاربهُ وكان لا يدعهم يزورونهُ الّا نادرًا جدًّا ودون مرامهِ فيصرفهم بوجيز الكلام معرضًا عن اللحم والدم وعائشًا كأنهُ مات للدنيا ومن فيها

وكان بقدر ما يفرّ عن العالم ويبتعد عن اصحابهِ يزيد حبًّا نحو اخوانهِ. ولم يطلب في محبتهِ لهم غير وجه الله ويخدم الجميع بلا استثناء. وكثيرًا ما كان يحتمل نفسهُ من المشاقّ ما يخفّف بهِ عن عاتق الغير ولكن بفطنة واتضاع. وكانت محبتهُ لجميع اخوتهِ دون محاباة او ميل بشري. الّا انهُ كان يحب ان يجتمع بالذين يراهم دائبين على التقى ناهجين لسبيل العبادة الحارة لاسيّما البسطاء. والسذّج لما يجد في حديثهم من الوسائل للتقدم في طريق الكمال مع ارتياحهم للمباحثات في الامور الروحيّة

امّا تذورهُ الرهبانيّة فيشهد كل من عرفهُ انهُ تممها بكل دقّة. فانّ طاعتهُ لرؤسائهِ بلغت الى حدّ يندر وجودهُ عادةً في الرهبان فانهُ كان يعتبر صوت رؤسائهِ كصوت الله لا يكاد يشعر بارادتهم حتى يتسارع الى اتمامها وكان معظم خوفهِ ان يخلّ فيها بشيء. وان زهيدًا

وكان حبهُ للفقر يسطع في كل شخصهِ فانهُ كان يختار مطلقًا ما هو الادنى في الدير لقوتهِ وكسوتهِ وفراشهِ ولا يبقي عندهُ الّا الاشياء التي لا غنى لهُ عنها ويتجرّد عن سواها ولو كان كتابًا. وكان اذا انتقل من دير استأذن الرئيس في نقل الحاجات الزهيدة التي يُسمح التصرّف بها عادةً للرهبان. وكان يأبى ان يأخذ معهُ ولو قلمًا من قصب دون اذن رئيسهِ. وكذلك كان اذا دخل ديرًا جديدًا اطلع الرئيس على ما يكون معهُ لاستعمالهِ الخاصّ

اما عفَّتهُ فالاحرى ان تُنعت بعفَّة ملاك مجرَّد عن الجسم. فانهُ حرصاً على هذه الفضيلة السامية السريعة العطب كان يهرب من كل سبب مهما يراهُ بعيداً ليتجنَّب كل ما من شأنهِ ان يسلبهُ شيئاً من بهاء الطهارة. وقد بلغ بهِ حبهُ للعفَّة ان لا يرفع عينيهِ الى من خاطبهُ فيجاوبه مطرقاً محتشماً. اما النساء فكان لا يخاطبهنَّ البتَّة بل كان يفرُّ من ملاقاتهنَّ واذا رآهن عن بُعد مال عن الطريق وان لم يسعهُ ذلك اطرق بنظرهِ الى الارض وربَّما نزل عن مركوبهِ ان كان مسافراً لئلا يقع نظرهُ على وجه امرأة. وكان لا يسمح لواحدةٍ منهنَّ ان تقبِّل يدهُ لاكرام كهنوتهِ بل كان يرفض ذلك على الرجال انفسهم لاسيما الاحداث غاية ما امكنهُ. وكان رحمهُ الله لا يكتفي بذلك بل احاط سوسن عفَّتهِ بسياج الاماتة وشوك التقشفات لم يدع شيئاً مما اعتادهُ القديسون ليصونوا نفوسهم في نقاوتها وبرارتها كالصوم والسهر وقهر الذات. ولذلك كنت ترى جسمهُ دائماً هزولاً شاحب اللون مع انهُ كان صحيح البنية مفتول الخَلق. وقد ادَّى بهِ افراطهُ في قهر جسدهِ الى ان اعتلَّت معدتهُ فصار يقذف في الغالب ما كان يتناولهُ من الطعام. ولعلَّ ذلك نتج لهُ من اكلهِ الطعام البارد المتخلِّف عن طعام الرهبان. ومن اعمالهِ القشفة صبرهُ الجميل على الامراض والاوجاع والبلايا والمصائب التي امتحنهُ الله بها فكان يتلقى هذه المحن بالتسليم التام لمشيئتهِ تعالى دون حزن ولا غمّ. وكذلك كان لا يسمع منهُ احد تذمُّراً من برد الحرّ والاشغال المضنكة. وكان في زمن الشتاء يتأذَّى كثيراً من البرد لاستمراره في الكنيسة ليلاً ونهاراً حتى حصل لهُ ورم في رجليهِ وكان مع ذلك لا يريد ان يوقد ناراً او يستعمل غير الكسوة العاديَّة الَّا انهُ كان اذا اشتدَّ عليهِ البرد يصطلي قليلاً بنار اوقدها غيرهُ من الاخوة

*

ولمَّا رأى الرهبان ما بلغهُ الاب نعمة الله من سموّ الكمال كانوا يرغبون لو تقلَّد زمام تدبيرهم وتولى رئاستهم. غير انَّ تواضعهُ كان يحملهُ ان يفرّ جهدهُ من كل اكرام وكل ثناء بشري. وكان اذا عُهدت اليهِ وظيفة تجلب لهُ بعض الشرف سعى ما امكنهُ ليُعفى منها ولا يقبلها الَّا بامر الطاعة. وكان اذا خاطبهُ احد بشأن الرئاسة العامَّة ويشعرهُ بانهُ سيُنتخب اليها استكف من ذلك وقال: الموتُ ولا الرئاسة. واذ قدَّم لهُ بعضهم البرهان على انَّ الله يريد منهُ ذلك لخير الرهبانيَّة اجاب: كلا بل ان مشيئة الله

ووالدته ان لا اصير رئيساً . ولما قيل له: وانى تعرف ذلك ؟ اجاب على الفور : ان البتول مريم قالته لي . ومن الاقوال المسموعة من فيه : انى اسأل الله أألا اموت وانا حاصل على وظيفة

وقد استجاب الله طلبه في ما يخص الرئاسة العامة لكنه لم يستطع ان ينجو من رتبة المدبرية فان اصوات اخوته الرهبان وقعت عليه في ثلاثة مجامع ليقوم باعباء هذا المنصب فلم ير بدًّا من الاجابة الى امر الله . وما ساعده على قبول ذلك انه رأى في هذا المقام وسيلة لانعاش روح الكمال بين اخوانه لما كان في قلبه من الغيرة على حفظ الرسوم الرهبانية

ومن ثم كنت تراه يفرغ الجهود في معرفة الواجبات التي تفرضها عليه وظيفته فاذا ادركها سعى في تتميمها بكل حرص ودقة وكان لا يحابي وجه احد فيجري مع الجميع كما ترشده الى ذلك ذمته . وكان يبدأ بنفسه ليكون للجميع قدوة صالحة فيسير على سنن الرهبانية في دقائق فرائضها كما في واجباتها الرئوسية بل كان يحمل ذاته احمالاً لم يفرضها على غيره لانه على قدر ما كان صارماً على ذاته كان شفوقاً على القريب

وقد ظهرت في اثناء ذلك غيرته العجيبة في خلاص النفوس فانه كان يجد في ان يقتني الجميع عبادة حارة وفضيلة راسخة ويرشد اخوته الى ذلك بكلامه وامثاله . وكان على حسب امكانه يجمع السذج والاولاد ليلقنهم قواعد الدين ويهديهم الى طريق الخلاص . اما الفقراء منهم فكان يتصدق عليهم بما يسمح له وذلك بشفقة ظاهرة ومحبة عظمى كأنه يخدم المسيح في شخصهم

ومن آثار غيرته ما فعل لنشر العبادة لمريم العذراء وكان تعبده لها عظيماً فائقاً . وقد أحب البتول الكلية القداسة حباً بنوياً بل كان هائماً بهذا الحب مغرماً به . ولذلك كان اسمها المبارك على شفتيه بلا انقطاع يستغيث بشفاعتها ليلاً ونهاراً ويشخص الى صورها المقدسة ويتنفس الصعداء كأنه يريد ان يخرج من سجن الجسد ليتمتع برؤيتها في دار الخلود . وكان كلما دخل قلايته او خرج منها سجد امام ايقونتها وحياها بسلام الملاك وكان يكرم بنوع خاص سر الحبل بها البريء من الدنس وذلك حتى قبل تثبيت الكنيسة لهذه العقيدة سنة ١٨٥٤ . وقد جازته البتول عن اكرامه لهذا السر بان منحته أن يموت في الاسبوع المخصص لذكره

وكما انهُ كان خادماً مخلص الخدمة لمريم كان لا يزال يلهج بمدائحها ويتكلّم عنها ويحرّض الجميع على عبادتها لاسيّما الاشتراك باخويّة قلبها الاقدس التي كان هو منتظماً في سلكها. وكان يجتهد في توسيع نطاق هذه العبادة بتوزيع اوراق الاشتراك التي كان يرسلها اليهِ الاباء اليسوعيّون. وقد انشأ هذه الاخويّات في اديرة رهبانيّتهِ بموجب الاذن الممنوح لهُ في ذلك. ومن آثار تعبدهِ لمريم اشتراكهُ بثوب سيّدة الكرمل وتلاوتهُ للوردية المقدسة كما مرَّ ومطالعتهُ اليوميّة لكتاب اتحاد مريم للقديس القنس دي ليكوري حتى انهُ لم يكن ينفصل عنهُ ويجعلهُ في الليل بالقرب من وسادتهِ ويجد بقراءتهِ حلاوةً تفوق شهد العسل. ومنها ايضاً صيامهُ في كل سبوت السنة وفي بيراموتات اعياد العذراء وفي الشهر المريمي وكان في الغالب لا يقتات في تلك الايّام الّا بالزيت او بالخبز وبعض البقول

ولم يكن تعبُّدهُ لقلب يسوع الاقدس اقلَّ حرارة فانهُ اشترك ايضاً بشركة هذا القلب الالهي وسعى بنشرها جهدهُ. وهي العبادة التي كانت تحملهُ الى اكرام سرّ القربان حيث قلب الرب لا يزال يخفق حبّاً بالبشر فكان لا يكاد يبتعد عنهُ ليلاً ونهاراً اذ كان هناك كنزهُ الثمين. وقد اكتسب من عبادتهِ هذه اتحاداً عجيباً مع الله فيمشي بحضورهِ ايضاً سار بل لم تكن الاشغال الزمنيّة لتصدّهُ عن الوقوف امامهُ عزّ وجلّ والتأمل في صفاتهِ الالهية. وكان ذلك يلوح على شخصهِ كلهِ فمن يرى هدوءَهُ وصمتهُ ويسمع تنهّده وزفراتهِ في صلاتهِ عرف للحال انَّ افكارهُ وحديثهُ في السماء.

*

وقد خدم الاب نعمة الله الحرديني رهبانيّتهُ بوظيفة أخرى غير المدبّريّة اوجبت لهُ شكر اخويّتهِ الحميم وذلك انهُ اختير ليدبّر شؤون الرهبان الدارسين في مدرسة دير كفيفان وذلك مدّة مجمعين اي ست سنوات فقام بهذا الامر احسن قيام. فكان يعتني بتهذيب هؤلاء الشبان وتعليمهم ليكونوا يوماً اهلاً لمساعدة القريب وكان ولي الله يحرّضهم على ذلك ويعطيهم فيهِ المثل بانكبابهِ على الدرس وقد مهر خاصّةً في علم اللاهوت الادبي فيحلّ بذكاء ما عُرض عليهِ من المشاكل. وكان يعلّم مرؤوسيهِ ألّا يضيعوا وقتهم بما لا فائدة فيهِ وكان هو لا يدع فرصةً من الزمان تذهب سدًى من دون عمل روحي او زمني

الّا ان حرصهُ على نموّ الدارسين في الروح كان اعظم منهُ على تقدّمهم في الدرس لعلمهِ بانّ العلم ينفخ ومحبة الله تبني (١ كور ٨ : ١) فكان يغرس في قلوبهم كل الفضائل الرهبانية ويتقدمهم في ممارستها حتى انهُ كان لهم انموذجاً حيًّا في كل امثال الصلاح. وقد انتشرت رياً قداستهِ بينهم بل عند العامّة ايضاً حتى انّهُ ضُرب بها المثل فكانوا يقولون « انّ فلاناً مثل الحرديني » او « حرْدن فلان » اي صار قديساً مثل الاب نعمة الله

ولمّا رأى الله ان عبدهُ نضج كثمرة صالحة آن قطوفها اراد ان يجازيه عن حياتهِ الطاهرة بنقلهِ الى دار الابرار فلمّا كانت اوائل شهر كانون من السنة ١٨٥٨ وهو في دير كفيفان تعلّب عليهِ الداء المعروف بذات الجنب وكان قد بُلي بهذا المرض قبل ذلك فاضحى فيهِ داء مزمناً عجز الاطباء عن شفائهِ الّا انهُ قوي بسبب الريح الشماليّة واستفحل حتى اضطرّ المريض ان يلازم الفراش فتناوبت عليهِ ادواره حتى أحسّ بان اجلهُ قد قرب فاخذ يُعدّ نفسهُ للملاقاة ديّانهِ فطلب الاسرار المقدسة وقبلها كلّها بعبادة عظيمة وتسليم تامّ للمشيئة الالهيّة وقد اسعد الله الفقير كاتب هذه الترجمة ان يحضر ميتتهُ الصالحة مع حضرة مرشدهِ الاب دانيال البشرّاني وبعض الاخوة. فتأثرنا جميعنا مما رأيناهُ في هذا الرجل البار من عواطف الحب اليهِ تعالى. وكان يستغيث بالبتول الطاهرة ويطلب معونتها في ساعة النزاع. ولمّا كانت الحمّى قد اشتدّت عليهِ حتى يغيب عن وعيهِ كنّا نسمعهُ يكرّر صلاتهُ المعتادة « فليكن مباركاً الحبل بريم العذراء البريّ من الدنس » وكان اذا انتبه يلتفت الى ايقونتها ويلتمس شفاعتها المشفّعة حتى انهُ يمكن القول بانّهُ اسلم روحهُ الطاهرة بين يدي هذه الام الحنونة. وكان ذلك في اليوم ١٤ من شهر كانون الاول سنة ١٨٥٨ نصف ليل الثلثاء في أيام رئاسة الاب لورنسيوس الشابي على الرهبانيّة. وكان رئيساً على دير كفيفان الاب نعمة الله التولاوي

ودُفن رجل الله بعد جنّاز حافل حضرهُ جمهور رهبان الدير وبعض الكهنة والمؤمنين وكان الجميع يتباركون بتقبيل يديهِ وقد اخذ بعض الرهبان نُتفاً من شعرهِ وقطعاً من ثيابهِ كذخائر جرى بواسطتها عدّة حوادث غريبة ان لم نقل معجزات باهرة. اما جسدهُ فبقي بعد دفنهِ مدة تحت الثرى لم يصبهُ الفساد ثمّ أُخرج باذن الرؤساء وجُعل في تابوت خصوصي رُضع هذا الكنيسة حيث يزورهُ كثيرون من كل مقاطعات لبنان ويستشفعون

به الى الله لنوال الشفاء من اسقامهم ونعماً اخرى شتى

وهنا كنّا نودّ ان نمدّد الآيات التي جرت على يد هذا البار لاننا نعرف منها نحو خمسين آية يطول بنا الكلام لو ذكرناها بالتفصيل. ويمنعنا من ذكرها انّ الكرسي الرسولي لم يتولَّ حتى الآن الفحص عنها رسمياً

(المشرق) وقد طلبنا من حضرة الاب المفضال صاحب هذه الترجمة ان يُرسل الينا خبر معجزتين او ثلاث مع شهادات لاناس ثقات فلبى دعوتنا واختار من هذه الآيات ثلاثاً الحقها بامضاء رجال افاضل لا يُشكّ في شهادتهم. فالمعجزة (الاولى) حدثت سنة ١٨٦٣ مع رجل من طائفة الروم الاورثدكس من قرية بتغرين اسمهُ موسى صليبا بقي مكفوف البصر مدّة عشر سنوات ونيّف فذهب الى ضريح الاب نعمة الله وطلب من الله الشفاء من دائهِ بشفاعتهِ فظهر لهُ رجل الله ومسَّ بيديه عينيه فشفاهُ شفاء تاماً. وقد عاين هذه المعجزة كل رهبان الدير ويشهد فيها كل اهل المنّ والقاطع الذين عرفوا هذا الاعمى زمناً طويلاً وممن وقّعوا على خبر هذه المعجزة حضرة القس مبارك المتيني الرئيس العام سابقاً على الرهبانيّة البلديّة والملفان بعلمي الفلسفة واللاهوت وجناب الياس نصّار شيخ قرية بتغرين وجناب موسى حنا صليبا مختارها وخوريها حضرة الخوري سمعان المرّ والخوري موسى صليبا من كهنة الروم الاورثدكس والخوري يوسف المكرزل خادم بنابيل وغيرهم كثيرون. والمعجزة (الثانية) تمت سنة ١٨٧٨ في رجل مُقعد كسيح عُقلت رجلاهُ الى الوراء بحيث لم يمكنهُ ان يتحرّك بهما مطلقاً وكان اسمهُ ميخائيل كفوري من طائفة الروم الكاثوليك وهو من مزرعة وطا الجوز بين المروج والمتين وقد اقرَّ كل اطباء بيروت والجبل انَّ شفاءهُ مستحيل فزار ضريح راهب كفيفان فاتاهُ في نومهِ وبرأهُ فقام في الصباح معافى شهد ببرئهِ اكثر من مئتي شخص في مقدمتهم الحبر المفضال السيد فلابيانوس كفوري رئيس اساقفة حمص وحماة ومنهم كهنة الجلاء كالخوري يوسف كفوري الاب العام على رهبنة مار يوحنا الشوير والخوري بطرس ابي سليمان المتيني وكيل مطران بيروت والقس مبارك المتيني السابق ذكرهُ والخوري سمعان نجّار. ومنهم اطباء كجناب الوجيه شديد افندي عقل والشيخ ابي امين بشير الجميّل من بكفيا ومنهم رجال افاضل كيوسف افندي شديد الصباغ وناصيف الياس الشويز ورديفا النجار. والمعجزة (الثالثة) اجراها الله على يد وليّهِ سنة ١٨٦٩ وقد تمت في شخص احد الكهنة

الافاضل اذ كان دارساً في دير القطارة وهو حضرة الاب بطرس قيطو اللبناني كان مصاباً بداء النقطة اخذ قليلاً من تراب ضريح الاب نعمة الله الحرديني متبرّكاً به فاذ وافتهُ يوماً نوبة دائهِ وظنّ الحاضرون انها تكون القاضيــة اذ ظهر لهُ رجل الله وشفاهُ تاماً وعاين شفاءهُ الاب الفاضل الخورفسقوفس ارسانيوس الخوري رئيس مدرسة مار يوحنا مارون حالياً وحضرة القس مبارك المتيني المار ذكرهُ. والذي نال هذه النعمة هو اليوم في بيروت يقصّ الآية على كل من يريد تفاصيلها ويشكر فله ما منَّ به عليهِ بشفاعة احد اوليائهِ. ولدينا غير هذا من المعجزات التي جرت مع متناولة ودروز وغيرهم. وفي ما اثبتنا كفاية ونحن نتمنى ان يطلب الرهبان البلديون من الكرسي الرسولي ان يعهد الى من يوثق بهم فحص حياة رجل الله واعمالهِ الصالحة ومعجزاتــهِ المقرَّرة لكي يثبتوا بنوع قانوني براءتهُ

صناعة النجارة في المشرق

بحث تاريخيّ وعمليّ (لاحق بسابق راجع الصفحة ٨٦)

للاديب يوسف افندي غنّام ثابت

٣ النجارة الشرقية في القرون المتوسطة

لقد اثبتنا في مقالتنا السابقة تقدُّم النجارة في الاعصار الاولى وسنعمل النظر الان في القرون المتوسطة الى غاية عهدنا هذا ونبسط الكلام في فنونها الدقيقة وكيفيَّة العمل فيها فيما بعد ان شاء الله تعالى

نقول ان للمجدّ الباحث عن آثار النجارة في القرون المتوسّطة شواهد عيانيَّة ورسوم عديدة وكتابات تاريخيَّة مجيدة. فاما الرسوم والكتابات فهي عبارة عن مجموعات كبيرة وتآليف تاريخيَّة ومجلات علميَّة كثيرة يتحرَّى نشرها جماعة من ذوي الفضــل والعرفان من نخبة الرجال وكبار العلماء الاوربيين في هذا الزمان والشواهد العيانيَّــة هي الآثار الباقية في البلاد وسنأتي بذكرها بعد الفراغ من وصف الرسوم والتآليف المشار اليها التي تأخذ بألباب كلّ من يجيــل فيها طرفهُ فلا يعود يتمالك عن مديح الرجال الفطاحل والمستشرقين الافاضل الذين قاموا بهذه الاعمال المأثورة بل يزيد على كلامنا اطراء ووصفاً اذا ما رأى اتقان طبع هذه المجلدات الضخمة وشاهد ألوانها المتعددة الزاهية